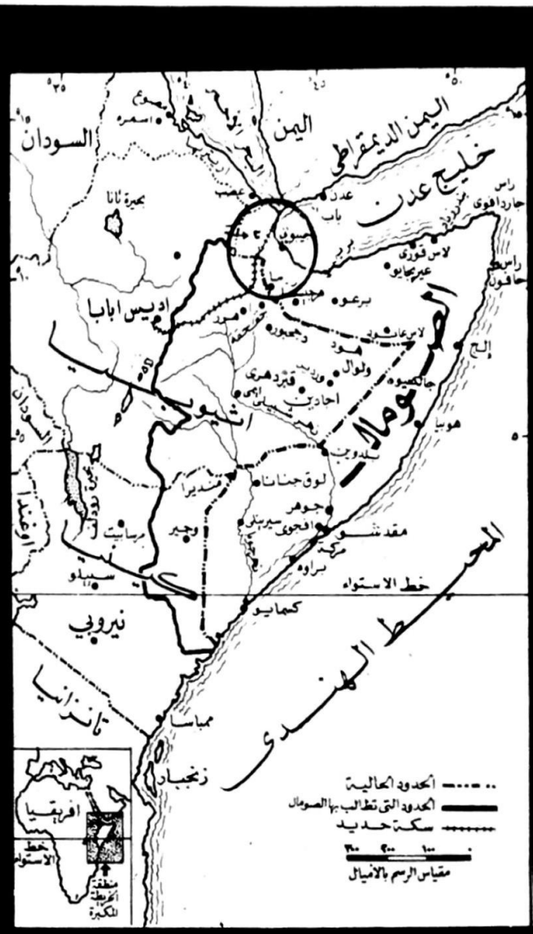

جيبوتي

بعد عملية جبهة التحرير:

عدوانية الردّ الفرنسي والنوايا الاستعمارية الجديدة في الساحل الصومالي المحتل

● بدت عملية جبهة تحرير الساحل الصومالي باختطاف مجموعة التلامذة ، اولاد ضباط الحامية الفرنسية هناك ، وكأنها كانت عود الثقاب المنتظر لاعادة اشعال قضية هذا الجزء المحتل من الوطن الصومالي ، واعادة طرح حق شعبه في الاستقلال الفوري غير المشروط عن فرنسا وتركه يمارس حقه في تقرير المصير .

فاعادة تفجير قضية الساحل الصومالي . اخر اقاليم الاستعمار الفرنسي ما وراء البحار . تجيء في وقت تعمل فيه باريس من وراء الكواليس وبعيدا عن الاضواء ، لوضع الترتيبات اللازمة من اجل ضمان مصالحها في هذا الساحل الاستراتيجي الموقع ، في حال اضطرارها في وقت من الاوقات ، انهاء وجودها الاستعماري المباشر فيه . وقد كانت وما تزال مستفيدة حتى وقت قريب ، من تناسي الرأي العام العالمي لها كقوة استعماريه عريقة لم تصف بعد كافه مستعمراتها ، وبعاند التخلي عن الساحل الصومالي . بينما العالم مشغل بالاهتمام بالنقاط المشتعله في بقاع اخرى .

لقد نجحت القوات الفرنسية في اقتحام مقر احتجاز الرهائن الفرنسيين ، واطلاق سراحهم بعد قتل المجموعة التي نفذت العملية . وقد لجات في ذلك ، الى اتباع الاسلوب الاسرائيلي الذي تعرفه جيدا . فقد حرصت باريس اثر العملية على الاعلان بان المفاوضات جارية مع مجموعة جبهة التحرير الصومالية ، ولكن تبين بعد ساعات ، بان ممثلي السلطة الفرنسية هناك كانوا يفاوضون لمجرد كسب الوقت فيما كان الاعداد لعملية اقتحام مقر المجموعة الفدائية وانقاذ الرهائن جاريا . ولم تمر هذه العملية الفرنسية ، مرورا عابرا على تل ابيب، التي حرصت صحفها على الاشارة الى انتهاج فرنسا الاسلوب الاسرائيلي مع الفدائيين العرب ، والى ادراك فرنسا بان « الاستسلام امام الارهاب ليس افضل السبل لانقاذ الارواح الانسانية » (!)

في الواقع ، كان في التحرك الفرنسي الاولي ما يدعو الى الريبة ، وتحققت هذه الشكوك بعد وقت قصير على العملية . فمن جهة ، زعم فرنسا الغريب بأن المفاوضات جارية مع المجموعة الفدائية.

ولكن حول ماذا ؟ كان الفدائيون قد طالبوا باطلاق سراح المعتقلين السياسيين والاعتراف باستقلال المستعمرة . وعلى ضوء المعاندة الفرنسية المستمرة لمبدأ استقلال دجيبوتي فقد بدا تصريح الناطق الرسمي الفرنسي غريبا عندما اعلن بأن المفاوضات قد بدأت مع المجموعة الفدائية . ومن جهة ثانية، بدا اتصال باريس مع حكومة جمهورية الصومال المؤيدة لجبهة تحرير ساحل الصومال ، لاطلاعها على خطورة الموقف ، وكأنه يعكس حرص الحكومة الفرنسية ، على مساهمة من موقاديشو لمعالجة ، قضية الرهائن لكن ليتبين بعد ذلك ان « الاطلاع على خطورة الموقف » ، كان بمثابة تهديد ضمني، عندما قامت القوات الاستعمارية الفرنسية بالعدوان العسكري على منطقة الحدود الصومالية.

الابتزاز العسكري

لقد رفضت باريس مطالب الجبهه واطلقت سراح المحتجزين ، باقتحام جنود الفرقة الاجنبية والقناصة الفرنسيين مقر احتجازهم ، وارسلت تعزيزات عسكرية الى دجيبوتي قدرت بألف جندي، في الوقت الذي اعلنت فيه السلطات هناك استنفار ٤٠٠٠ من افراد الفرقه الاجنبية في كورسيكا استعدادا لنقلهم جوا الى الساحل الصومالي .

ومن ناحية ثانية ، اثارت القوات الفرنسية اشتباكات حدودية مع جمهورية الصومال ، وقامت بقصف مدفعي اعقبه توغل بالدبابات والمصفحات في الاراضي الصومالية نتج عنه مصرع ٤٣ شخصا واصابة ٢٥ اخرين بجراح واختطاف ٣ من رجال الجمارك ، بينما كانت باريس تبرر العدوان على الصومال بالاعلان بأن « فرنسا ستضمن بكل الوسائل التي تمتلكها وحدة اراضي هذه المقاطعة الافريقية » .

لقد جاء الرد الفرنسي على عملية جبهة تحرير ساحل الصومال على الطريقة الاسرائيلية المألوفة، القاضية بمعاقبة دولة الجوار بالعدوان العسكري على مناطقها الحدودية ، لانها تستخدم كملجأ للفدائيين ، وذلك باعتبار ان مقديشو تؤيد جبهة التحرير ، وتكاد تكون الصوت الملحاح الوحيد الذي يرتفع من اجل استقلال الساحل الصومالي .

بل ان الحكومة الصومالية ابلغت عن حشود اميركية وفرنسية قبالة السواحل الصومالية اثر اشتباكات الحدود ، في عملية ابتزاز عسكري واضحة دعمها اعلان الحكومة في باريس ، عن تحرك غواصات فرنسية وسفينة امدادات ، الى المحيط الهندي « لتعزيز الوحدات البحرية الفرنسية هناك » ، زيادة في التهديد والتهويل العسكري .

ضرب الوطنيين في الداخل

وبالاضافة الى العدوان العسكري الفرنسي على جمهورية الصومال، فقد استغلت الحكومة الفرنسية عملية ثوار جبهة تحرير الساحل الصومالي ، لتضرب الحركة الوطنية الاستقلالية في دجيبوتي.

ففي الوقت الذي كانت تجري فيه الحشود المعادية امام السواحل هناك ، كانت السلطة الاستعمارية الفرنسية في دجيبوتي تعتقل احمد الدين محمد زعيم الرابطة الافريقية الشعبية للاستقلال بتهمة اشتراكه في عملية خطف باص التلامذة الفرنسيين التي قامت بها جبهة تحرير الساحل الصومالي ، بينما كانت وحدات من القوات الفرنسية تقوم بقمع التحركات الشعبية في مدن المقاطعة التي كانت تتظاهر احتجاجا على اعتقال زعيم الرابطة. فالمعروف ان الرابطة الافريقية الشعبية تطالب باستقلال مقاطعة عفار وعيسى (الساحل الصومالي) والانسحاب الفوري للقوات الفرنسية منها . وهي الحزب المعارض هناك الذي يقف في وجه حزب علي عارف برهان ، رئيس الحكومة المحلية المتعاون مع السلطة الاستعمارية الفرنسية، والمؤيد لبقاء دجيبوتي تحت الحكم الفرنسي .

لقد اهتزت السلطات الفرنسية حادثة الباص لتوجيه ضربة رئيسية للحركة الوطنية المعارضة للحكومة المحلية المتواطئة مع الحكم الاستعماري والمطالبة بالاستقلال الفوري . وكما قالت صحيفة « الاومانيتيه » الفرنسية الشيوعية في باريس ، تعليقا على التوتر الفرنسي ـ الصومالي ، فمن الواضح بأن حكومة الرئيس جيسكار ديستان « قد اختارت سبيل اختبار القوة في دجيبوتي ، وان تقوية الاستعداد العسكري الفرنسي على الحدود الصومالية واعتقال قادة المعارضة وفرض حظ التجول في دجيبوتي ، تكشف عن رغبة القادة الفرنسيين في الحفاظ على النظام الاستعماري الجديد في دجيبوتي » .

الاستقلال ام شبه الاستقلال ؟

ان العدوانية التي تجلت في الموقف الفرنسي ، تجاه الصومال اثر عملية جبهة تحرير الساحل الصومالي ، تعكس في الواقع الموقف الفرنسي المتصلب ازاء مطالب استقلال اقليم « عفار وعيسى » . فقد واجهت فرنسا الضغوط التي مورست وتمارس عليها ، من أجل تصفيه استعمارها للساحل الصومالي ، بالادعاء بأن الحكم الفرنسي للاقليم قائم بالموافقة « الحرة » لشعبه . وهي تعتمد في هذا الرعم على الاستفتاء الذي اجرته في سنة ١٩٦٧ ، والذي رتبت نتيجته مسبقا ، كونها هي السلطة هناك ، التي تمسك بكافة الاجهزة والوسائل اللازمة لتحديد نتائج «الاستفتاء الحر» المزعوم .

ان عدد سكان الاقليم يزيد على ثلاثة ارباع المليون نسمة . وموقع مرفأ دجيبوتي عاصمة الاقليم ، على مدخل البحر الاحمر هو الذي يعطي هذه الاهمية الاستراتيجية للساحل الصومالي بالنسبة لفرنسا ، الحريصة بالمحافظة على وجود قوي لها في المحيط الهندي . ولكن نتيجة الضغوط المتزايدة عليها من اجل الخروج نهائيا من الاقليم، خاصة ضغوط الامم المتحدة ، فانها قد بدأت تفكر جديا باحتمال ان تضطر مرغمة على منح الاستقلال للساحل الصومالي .

وهذا التفكير انعكس في تحركات فرنسية مشبوهة تكشف عن نواياها بترتيب استقلال شكلي للاقليم ، من خلال المحافظة على وجودها العسكري فيه ، وتكون قد نجحت في تسكين الاعلام المعادي المتزايد وتأثيراته . فقد بدا بأن باريس تعد رئيس الحكومة علي عارف ، الدمية المحلية « الفرنسية » ونصير الحكم الفرنسي « الدائم » في الاقليم ، من اجل ان يتسلم السلطة في اقليم عفار وعيسى المستقل .

وكان علي عارف قد قام بجولات في بلدان عربية وافريقية ، في محاولة واضحة لاكتساب تأييد حكوماتها ، لمشروع تسلمه السلطة في دجيبوتي ، خاصة وان سمعة عارف كرجل السلطة الاستعمارية الفرنسية في الاقليم ، شائعة ، وقد تشكل عقبة امام تحصيله قبول الاكثرية في وقت يدرك هو اكثر من غيره ، ان مثل هذا التطور لن يكون من دون مضاعفات ، ان في الداخل ، في الاقليم ، او في الصومال .

لكن فشل عارف في الحصول على الاهتمام الذي ينشده في معظم العواصم العربية والافريقية التي زارها، لن تثني الفرنسيين عن المضي في مشروعهم الاستعماري الجديد . وقد برز ذلك بوضوح في تحركها العدواني ضد جمهورية الصومال ، وفي حملة القمع والترحيل التي تشنها ضد الوطنيين في دجيبوتي ، تحت ستار ردة الفعل ضد عملية جبهة تحرير الساحل الصومالي .

■

حول النزاع على دجيبوتي :

● « بالرغم من ان فرنسا قد انتصرت في المعركة الاخيرة ... فانها غير قادرة على ضمان تطور سلمي للبلاد الواقعة في شرقي افريقيا ، في المستقبل القريب ... وذلك لان هذا الاقليم سيصبح بلاشك محل نزاع بين جيرانه الافارقة بعد ان يتخلى الفرنسيون عن هذه البقية الباقية من الامبراطورية الفرنسية القديمة . كما ان هذا النزاع المحلي يمكن له ان يأخذ ابعادا عالمية ... وهذا ليس بالمستبعد لان ميناء هذا الاقليم يعد قاعدة عسكرية للغرب تشرف على باب المندب ... »

« دي فيلت » الالمانية الغربية

★ ★ ★

● « دجيبوتي هي اخر المستعمرات الاوروبية في افريقيا . وتريد فرنسا منذ زمن طويل التخلي عنها . لان اهميتها كقاعدة لمراقبة النشاط السوفياتي في المنطقة لا يمكن مقارنتها بالتكاليف الباهظة المترتبة على ذلك ... وافضل حل هو اعطاء دجيبوتي كيانا حياديا بضمانات دولية او بضمان من الامم المتحدة . ولكن المشاعر القبلية وخاصة الانتماء الذي يفضله العيسويون نحو الصومال قد يشعل نار الحرب الاهلية » .

« التايمز » اللندنية